آيات وغايات

بركات من السماء والأرض

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}

■ توضح هذه الآية (الغاية) من الإيمان والتقوى وتتجسد هذه الغاية في الفتح الذي يؤهل أهل المجتمعات للاستفادة من «بركات السماء والأرض».

لقد وصف الله – جل جلاله– قرآنه الحبيب بأنه(هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) البقرة – لأن الهدى حقيقته والهدى طبيعته والهدى كيانه والهدى ماهيته ولكن لمن يكون ذلك الكتاب هدى ونورا؟ للمتقين فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب، هي التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك التقوى هي التي تهيئ لهذا القلب أن يلتقط وأن يتلقى وأن يستجيب (في ظلال القرآن).١/٣٨.

ولعل من أهم (بركات التقوى) أن التقي لا يكون تقياً إلا إذا تعلم وفهم كتاب الله جل وعلا وعرف سنة نبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما يؤهله ويهيئه للترقي في مدارج السالكين المتقين، والتلقي عن رسول رب العالمين لأن من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم، ومصداق ذلك في قول الحق (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) البقرة.٢٨٢.

إذن (العلم) هو أول بركات التقوى وبه يستطيع المسلم أو المسلمة التمييز بين المواقف والتفريق بين الأشياء (إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) الأنفال ٢٩، وهذا العلم (الوهبي) الذي وهب الله به (البصائر) للمتقين يجب أن يقوم على أساس العلم (الكسبي) الذي يكتسبه المؤمنون المتقون في كل شعب المعرفة وفروعها وتخصصاتها ليصل التقي إلى مرتبة (وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) الكهف.٩٥

وتأتي (المعية) الإلهية للمتقين الذي انتفعوا بالعمل بما يعملون، فارتفعوا إلى مقام (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) النحل١٢٨ ، لأن من كان مع الناس بإحسانه وكان مع الله بتقواه كان الله معه في أولاه وآخراه (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) البقرة.١٩٤

ويكون (الحفظ) الإلهي كنتيجة للمعية الإلهية (احفظ الله يحفظك) الحديث.. وبالتالي فلن يضر المؤمنين المتقين كيد الأعداء ومؤامراتهم (إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا) آل عمران.١٢٠

وتغدو (النجاة) ببركة الإيمان والتقوى فضلاً من الله ونعمة، إذ يمن الله على (الأتقياء) بأن أنجاهم من كيد (الأشقياء) بقوله (أَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)النمل٥٣ ، فمن يعمل في أرضه وحقله ويحسن في تجارته ويخطط لاقتصاده، ويطور مستواه العلمي فإنه ينجو من التبعية..

ويصير (التيسير) حظا عظيما محالفاً للمؤمين الأتقياء لأن القاعدة القرآنية تقرر(وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) الطلاق٤ ، وإذا تيسرت الأمور وتحسنت الظروف وتجمعت الأسباب وصدقت النيات وتكاتفت الجهود جاء (الرزق الحلال) زرعاً في أرض أو صيداً في بحر أو استخراجاً لمعدن أو مطراً من السماء (وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) الطلاق.٢/٣

إنّ هذه الآية لوحة يلتقي في خطوطها الغيبي بالواقعي والفردي بالاجتماعي والاعتقادي بالاقتصادي والدنيوي بالأخروي.. وتتضح فيها سمات وصفات (المتقين) الذين يشعرون بعبء المسؤولية ويربون أنفسهم على معنى احتساب الثواب لا اكتساب الشهرة، ونجد قيمة (البر) بكسر الباء عندهم ذات أفق واسع شاسع بعيد عميق يبدأ من تربية النفس على العقيدة المؤمنة بعالم الغيب الذي يثمر وينتج عملاً نافعاً وسلوكاً حضاريا يتمثل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (البر حسن الخلق) رواه مسلم و(البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب) رواه أحمد والدارمي.. لذلك فالبر– كما في الآية السابقة– صنو التقوى ورديفه (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى) البقرة (١٨٩ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) المائدة ٢ وقد جاء في الحديث(عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة) متفق عليه، ورمضان هو شهر الصدق لأن (الصوم جنة ما لم يخرقها بكذب أو غيبة) رواه النسائي وأبي خزيمة والبيهقي، كما نلاحظ أن ختام الآية (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يوثق الترابط بين (الصدق) و(التقوى) كما في قوله سبحانه (اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة ١١٩ لكي يتعلم المسلمون – بواسطة الصيام– صدق الحديث وإتقان العمل وإحسان التصرفات فيكونوا مع الله ليكون الله معهم (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) النحل ١٢٨ حتى تتجسد شفافية التقوى في سلوك الإحسان الذي هو (أن تعبد الله كأنك تراه) ومن أجل ذلك يكون فم الصائم (أطيب عند الله من ريح المسك) كما روى البخاري ومسلم، لأنه فم لا يقول إلا صدقاً ولا ينطق إلا حقاً، ولهذا قال تعالى (اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) الأحزاب.٧١

وعلى هذا فإن (آية الصوم) تفضي بنا إلى (غاية التقوى) فنتعلم من الصوم حينما نحس بلذعة الجوع ولسعة الظمأ– البذل والعطاء بسخاء في الشدة والرخاء (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى).. ونتعلم أن نتعامل مع المؤمنين بحب وود ووفاء وولاء ورحمة وصلاح (وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ) الأنفال، لأن (مَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) الأعراف.٣٥

ونتعلم بالتقوى صدق الوفاء بالوعد والعهد (مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) آل عمران. .٧٦ كما نتعلم بالصوم سلوك الصبر المقاوم الصامد، وليس الصبر المساوم الصامت الخامد (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) يوسف.٩٠

وهكذا نرى أن أهم (غايات) الصوم هي أن يتكون ويتشكل في المجتمع المسلم فئة (المتقين) وهم محسنون أسخياء مصلحون أسوياء صادقون أوفياء صابرون أقوياء طاهرون أنقياء، وكل هذه الأخلاقيات القرآنية تؤكد أن البقاء للأصلح والعاقبة للتقوى وليس للأقوى، إلا أذا كان الأصلح هو الأقوى والأقوى هو الأتقى.. وهذه حقائق وغايات قرآنية لم يدركها إلا ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، نسأل الله أن نكون منهم ومعهم يوم يحشر المتقون إلى الرحمن وفدا، آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

علي بن عبدالله الضمبري

الثورة

رمضانيات

إشراف / وليد المتيرعي

ملحق يومي يصدر عن صحيفة «الثورة» خلال شهر رمضان المبارك

اَللّهُمَّ ارْزُقني فيهِ الذِّهنَ وَالتَّنْبيهِ ، وَ باعِدْني فيهِ مِنَ السَّفاهَةِ وَالتَّمْويهِ ، وَ اجْعَل لي نَصيباً مِن كُلِّ خَيْرٍ تُنْزِلُ فيهِ ، بِجودِكَ يا اَجْوَدَ الأَجْوَدينَ .

الاربعاء 3 رمضان 1432هـ 3 أغسطس 2011م العدد (17066)

رمضان كما يحبه الناس

وجاء رمضان .. بعد طول انتظار .. جاء ليستقبله الناس استقبال الأرض العطشى للمطر ، واستقبال المريض للطبيب .. استقبال الليالي لضوء القمر ... ها قد اكرمنا تعالى ببلوغه وهي من اكبر نعم الله تعالى على العبد أن يوصله الى أبواب الطاعات ، فمجرد دخول شهر رمضان على المسلم وهو في صحة وعافية ، يستحق الشكر والثناء على الله المنعم المتفضل بها.

استطلاع/ جميل على محسن النويرة

■ قال النووي – رحمه الله – في كتاب الأذكار « إعلم انه يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة أن يسجد شكرا لله تعالى ، او يثني بما هو أهله «كيف لا يفرح العبد المسلم بهذا الشهر الكريم وقد خصه النبي الكريم بشهر البركات وفيه تفتح أبواب الجنات وتغلق فيه أبواب الجحيم ، ولهذا كل عبد مسلم له اسلوب خاص في بداية هذا الشهر في تكييف نفسه على الطاعات والعبادات والمعاملات بما يتناسب مع روحانية الشهر الكريم .

التخطيط المسبق

■ يقول الأخ / رياض خالد الظاهري « خطيب جامع ومرشد : اذا أردنا الاستفادة من شهر رمضان فيجب التخطيط المسبق لقضاء اوقات رمضان وتحديد برنامج زمني يمشي عليه العبد المؤمن ، لأن رمضان فرصة عظيمة ومنحة ربانية يجب اغتنامها ، والمؤمن له فرص كثيرة مع خالقه جل في علاه ومواعيد لتربية نفسه ومنها التخطيط لاستغلال رمضان في الطاعات والعبادات ، فيضع المسلم له برنامجا عمليا لاغتنام ايام وليالي رمضان ، ومنها التهيئة النفسية والروحية حيث كان الصحابة يودعون رمضان ستة اشهر ويستقبلونه ستة أشهر ويدعون الله ان يبلغهم إياه ، وكان يقول صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان : جاءكم شهر رمضان .. دليل على الاستعداد له بالطاعات ولا يكون ذلك الا بعقد العزم على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة ، فمن صدق الله صدقه واعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير قال تعالى « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم «

اغتنام الطاعات

■ الأستاذ/علي عبدالله الفضيل مكتب الأوقاف والإرشاد يقول : يجب على المؤمن ان يستقبل رمضان بنية صادقة وعزم لا يلين على فعل الطاعات واجتناب المنكرات ، وليعلم الصائم انه لو اقبل على الله بالطاعة لكان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى قال : من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه ، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه « ومعلوم كذلك ان رمضان شهر مضاعفة الحسنات ، وتتضاعف الى عشرات الاضعاف الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء ، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا أقول ألم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف « تأمل ايها الصائم كم من الحسنات تربح اذا كنت تقرأ القرآن في رمضان ، فرمضان فرصة عظيمة ومنحة ربانية ،يجب اغتنامها ، والخاسر من فرط في أيامه واضاع لياليه .

صفحة بيضاء

■ أما الأخ/ مجاهد عبده حسين فيرى ان دخول رمضان واستقباله لا يكون الا بفتح صفحة بيضاء نقية بين العبد وخالقه ، ولا يكون ذلك الا بالتوبة النصوح والاقلاع عن المعاصي والآثام ، والامتثال لما أمر به تعالى واجتناب نواهيه ، وصفحة بيضاء مع الوالدين والأقارب والأرحام والزوجة والأولاد وذلك بالبر والصلة وصفحة بيضاء مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبدا صالحا ونافعا قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الناس انفعهم للناس « واتمنى على فرقاء العمل السياسي في اليمن ان يفتحوا صفحة بيضاء ، وان يحطوا الخلافات ورواء ظهورهم وان يقدموا مصلحة الوطن فوق كل المصالح وان يجعلوا رمضان فاتحة خير عليهم وعلى الوطن الحبيب.

في رحاب الشهر الاستثنائي

حسن أحمد اللوزي

■ ها هُمُ المسلمون والمسلمات يتدرجون في مراحل الشهر الاستثنائي في النطاق التحفيزي الذي حدده الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم بالنسبة لأول الشهر وأوسطه وختامه باعتبار شهر رمضان شهراً للرحمة والمغفرة والعتق من النار.. ولكن السؤال البديهي هو إلى أي حد يمكن أن يجتاز كل واحد وكل واحدة –من الواقعين في بوتقةً الاستخلاف– تلكم المراحل بصورة استثنائية تليق بعظمة فريضة الصوم وبمكانة الشهر المبارك؟ الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان وهو لذلك متعلق بأعمال تعبدية خاصة وخالصة لله سبحانه وتعالى ومتميزة عن غيرها في ذاتها ولشموليتها للواجبات والمندوبات والمباح في الطاعة مطلقا.. وبصور من السلوك والعلاقات الراقية غير تلك التي اعتدنا على عيشها في الشهور الخوالي..

ذلك أن الشهر الاستثنائي وهو وعاء لفريضة خاصة استثنائية تكتنفها المشقات لدى البعض ويتطلب من كل المنتمين إلى هذا الدين الحنيف والمكلفين بأداء واجباته وتجنب نواهيه أن يكونوا استثنائيين أيضاً في أعمالهم وفي تعبدهم وفي علاقاتهم.. وأن يكونِ كل فردٍ في مستوى المعاني الجميلة التي تفصح عنها وتدل إليها فريضة الصوم في شهر تنزيل القرآن الكريم، ومراجعته من قبل الرسولِ الخاتم (مع جبريل عليه السلام.. وبحيث يغدو الشهر منهلاً خصيباً لثمار الأعمال الاستثنائية في كل حقول العمل والإلتزام وأداء الواجبات الوطنية والدينية والتوسع في أعمال البرّ والتقوى وخوض غمار المكنات الجالبة لسعادة القلب وقوة الضمير واطمئنان النفس ومصاولة الابتلاء الذي قد يعاني منه المؤمن فيطلق في ذاته طاقات العطاء المتميز والبذل الروحي والبدني والمالي والأخلاقي السخي النابع من رسوخ عقيدته ومن تماسك واستواء ذاته وتقويمه وبما يفصح بجلاء عن تلكم القوة الروحية الثمينة التي هي مدخرة طوال العام لمثل هذا الجهاد التعبدي المخصوص في أداء فريضة الصوم في أفضل الشهور عند الله وفي قلوب وعقول عباد الله المخلصين وبما يعزز من العلاقة الوطيدة بين العبد وخالقه وبين الإنسان وبين أفراد مجتمعه وعلاقاته الاتصالية الملتزمة بكل المهام والمسئولياتِ المناطة به..

وليس طبيعياً أبداً الوقوع في مظاهر الادعاء والرياء لأنها تعتبر فضيحة استثنائية أمام الخلق كما هي أمام الخالق من لايعزب عن علمه شيء صغر أو كبر في هذا الملكوت.. فالصوم بحد ذاته فريضة تعبدية عظيمة لا تنكشف بحقيقتها وبصدق الوفاء بها إلاّ لفارضها جلّ وعلا، وهي لذلك خاضعة لرقابة وضبط الضمير الإنساني الحي اليقظ للفرد المؤمن وبما يحقق صقل ذلكم الضمير وتنمية قوته.

ولاشك أن الامتثال الكامل لمتطلبات هذا الشهر الربّاني بما هو أهلٌ له يساعد إلى أبعد الحدود في اجتياز المراحل المشار إليها بصورة سلسة وباطمئنان كبير.. وفي خضم ذلك تتجلى كنوز الشهر الكريم باستكناه أسرار النفس والعقل والروح والبدن لأنها كلها قابلة للفيض الأسمى ولأن تكون في أجل الأوقات أعمق تمثلاً لمكارم الأخلاق وحلولاً في أكمل الدرجات. فمرحى شهر البرّ والتقوى والبركات والإحسان وشهر السباق المرصود بأقلام القدرة بين عيال الله الأبرار في آفاق طاعته التي لاتضيق أمام طاقاتهم وما لديهم من قوة ومن مقدرة فعل الخير.. ومن إمكانياتِ اقتناص فرص البر والتقوى الثمينة في هذا الزمن القصير جداً والذي لا نهاية لمدى إثماره حتى يعود من جديد ليُجمّل حركة الحياة الإنسانية وليكسر رتابة الشهور الأخرى.

فبدون شهر الصوم هل كان للعام معنى غير حركة انجرار الليل والنهار باستثناء أشهر الحج؟.. فلو لم يكن هذا الشهر الفضيل من يعطينا قدرة استضاءة فلق التغيير المتصاعد في الحياة؟؟

ويجعلنا نعبر برزخ الدوران على وتيرة واحدة مملة مهما كانت بالغة العطاء غير شهر رمضان كفاصلة حاسمة بين تاريخين يعتري أولهما النقصان والإحساس بفداحة الذنوب إن اقترفت وثانيهما يبدأ مع أيام العيد من جديد ليشعرنا بالرضى والفوز بجائزة الرحمة والمغفرة والعتق من النار والتحرر من الذنوب والعبور إلى حياة التوبة في صراط النور والاكتمال.